قضايا الأدب والأدباء

نقد ترجمة مسرحية عنترة

بقلم الياس غالي

سبق أن قمت بترجمة مسرحية « عنترة » للاديب اللبناني الكبير شكري غانم ، وتكرمت وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية بنشر هذه الترجمة . الا ان المراجع الدكتور صالح الاشتر الذي وجد «لغة الترجمة بحاجة الى مزيد من الصقل والتهذيب» سمح لنفسه دون علم المترجم ودون موافقة الوزارة بتصحيح الترجمة وصقل العبارة ،فأفسد من حيث اراد ان يصلح اذ وقع في اخطاء اساءت الى المسرحية والى مؤلفها كل الاساءة .

لقد قال الاستاذ المراجع في مقدمته للترجمة أن « لغة المترجم العربية بحاجة الى مزيد من الصقل والتهذيب » وليس في هذا القول شيء عجب وفوق كل ذي علم عليم ، والاستاذ صالح الاشتر دكتور في الادب العربي من جامعات اوروبا واستاذ باللغة العربية في جامعة دمشق وقد ابقى الترجمة لديه سنة ونيفا ... لكننا بدورنا لم نجد في مقدمته من ايات البلاغة شيئا وقد كتبها على هواه غير متقيد فيها بشيء بل وجدنا ان لغة المقدمة ليست باحسن من لغة الترجمة لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار التصحيحات التي اجراها وسوف نعلنها ونناقشها مناقشة علمية محتكمين فيها الى السادة القراء . وما ذلك بقصد الانتقام ولا التهجم على الدكتور الاشتر الذي نكن له مع ذلك كل احترام وتقدير بل لنعيد قدر المستطاع الى المسرحية الصورةالتي ارادها لها المؤلف وننشر الفكرة الصحيحة التي كانت تراوده عندما ألفها .

قلنا ان حضرة المراجع شاء ان يجد لغة المسرحية العربية بحاجة الى صقل وتهذيب فاطلق قلمه الساحر فيما صحح دون علم المترجم ودون موافقة وزارة الثقافة ـ ثقة منها بعلمه ـ فشوه المسرحيةتشويها معيبا يثير نقمة المؤلف دون شك ...

ونحن ما كنا لنثير هذا الموضوع لو نفذ المسؤولون في الوزارة وعدهم باضافة قائمة التصحيحات التي اصررنا على اضافتها الىالكتاب، اما وقد وزع الكتاب دون تلك القائمة فحق لنا بل وجب علينا حرصا منا على ارضاء المؤلف الاصلي وانصافه وارضاء لضميرنا المسلكي ايضا ورغبة في افادة القراء بل خدمة للادب والحقيقة ان نضع بعضالنقاط على بعض الحروف ... ضاربين صفحا عن حكم المراجع فينا وقد عزانا عن ذلك قول الاستاذ الكبير حنا الفاخوري « تمنيت ان تكون المقدمة أشد تقديرا واعمق تفسيرا » وقول الدكتور الكبير الاستاذ زكي المحاسني في كلمته من اذاعة دمشق « ان لغة الترجمة سليمة » .

ان من الغريب المدهش حقا ان الاستاذ الاشتر لم يفرق بين نعم وبلى ! ... فكلمة (oui) تترجم بنعم و (si) ببلى اذ ان الجواب بنعم يتبع ما قبله في تثبيت الايجاب او النفي في حين ان بلى تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله اثباتا مثل (si) تماما . ألست بربكم ؟ قالوا بلى (اي انت ربنا) كما في الاية وفي تفسير الجلالين . ولو قالوا نعم لعنى ذلك = لست ربنا . ففي الصفحة ٨٤ يقولوزر لعمارة:

وزر : لانك لا تجزم اذا اردت شيئا

عمارة : نعم ... نعم ...

كما لو اراد عمارة ان يقول اني لا اجزم والحال ان عمارة اراد ان يقول بل قال اني اجزم فترجمة (si) بنعم عكست المعنى .

وفي الصفحة ٩٥ مثال رائع على الصقل والتهذيب الذي اراده سيادة المراجع :

الفنـاء هو ان ننظم الكلام
الذي يخشى عليه من النسيان

او من الضياع في الطريق
زينة للجيد او الجبين عقدا

فهب كلمة زينة نعتا للعقد او تمييزا له والتمييز يؤتى به لازالة ابهام اسم او جملة قبله كما يعلم ويعلم . اما ان يتقدم النعت على منعوته مفصولا عنه او التمييز على مميزه فهذا شيء عجب من استاذ في اللغة العربية . أما قبل التصحيح فقد كانت العبارة مترجمة بكل بساطة هكذا :

الفنـاء هو الكلام
الذي يخشى عليه من النسيان
او من الضياع في الطريق
فينظم عقـدا
زينة للجيد او الجبين

وقد ورد في الصحيفة ١٠١ :

فلنحرق ملحا في الكحول
تيمنا بسعادة العروس

وكلمة التيمن تعني التبرك كما جاء في لسان العرب فهلحرق الملح للتبرك بسعادة العروس كما فهم المصحح ام لاجل سعادتها اي لكي تكون هي سعيدة ؟ والمعنى الاخير هو المقصود .

Brulons du sel dans l'alcool
Pour le bonheur de l'épousée.

وكلمة (Camp وليس Tento) فقد ترجمناها بكلمة « مخيم » لكثرة استعمال هذه الكلمة اليوم ويسر فهمها ، فصححها المراجعبكلمة « مضرب » في الصفحات ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٨ و ١١٧ و ١٣١ و ١٣٩ . والمضرب في المنجد الخيمة العظيمة وفي لسان العرب فسطاط الملك والفسطاط بيت من الشعر وعند الزمخشري ضرب من الابنية في السفر دون السرادق . ولو استعملت اسم مكان لدلت على مكان ضرب الخيمة لا الخيمة نفسها فلا ندري اي معنى قصد وكلمة المخيم أيحيث الخيم مضروبة هي المقصودة لا سيما في العبارة التالية : ص ١٣١ : « اذهب الان وجل في المضرب والق نظرة الى داخل الخيمة » . أخيمة ضمن خيمة كخيمة كراكوز ؟! ..

افهم ان يصحح المراجع اغلاطا او ان تفوته اغلاط ارتكبها المترجم اما ان يصحح الصواب بخطأ ويزعم انه صقل وهذب فانه شيءغريب ومستغرب : لقد استعمل فعل يعشو البصر بدلا من يعشى (١٠٩) والاخير هو الصحيح ويفرد كلمة حفرة (١٢٠) ويعرفها بال التعريف لا الاستغراق وهي جمع في الفرنسية ويستدعيها المعنى : (trous)

ما كان يرى الصخور ولا العليق ولا الحفرة

ويستعمل كلمة حجتهم بدلا من عذرهم وهما في الفرنسية ليستا سواء في المعنى : Excuse , prétexte

تلك بعض كلمات رأينا الاشارة اليها واجبة واما العبارات التي شاء الاستاذ الاشتر ان يصقلها صقلا ويهذبها تهذيبا نعتقد انهكان من وحي الشيطان ولكن غير شيطان الشعر طبعا اذ افقد الواحدةمعناها وبدله او عكسه تماما في اخرى .

يقول عنترة في الصفحة ٤٧ :

« فاذا تغلبت منذ ذلك اليوم على الاسود وصيرت الاسد مراعي لمواشيكم واذا صنعت هذه الاعجوبة فاعدت بقوتي الى بني عبسهيبتهم القديمة فما ذلك الا لازيد ثروتي فانا فقير واهلي فقراء كما يعلم

الجميع بل لاجلها لاحملها على احترامي وتقديري ولاكون اعظم رجل كما انها اجمل امرأة » .

فكيف وفق حضرة المراجع بين اداة القصر « الا » وهي لتمكين الكلام وتقريره ـ ولا موجب هنا للقصر لا سيما ان المؤلف لم يقصد ذلك ـ وبل الاستدراكية والمقصور عليه في الحالتين هو ما بعدهما . كيف لم يلاحظ الاستاذ الصاقل المهذب البلبلة والاضطراب الفظيع الذي احدثه في هذا المقطع الجميل والتناقض في المعنى وكل ذلك باضافته الا فقط عليه . وترجمتها الحرفية الصحيحة كما كانت العبارة من قبل :

« فما ذلك لازيد ثروتي »

Ce n'est pas pour augmenter mes biens

حبذا لو يعيد القارىء الكريم قراءة هذا المقطع بعد شطب«الا» منه ليلاحظ اي فرق بين العبارتين . وحبذا لو ظلت العبارة بلا صقل ولا تهذيب لظلت مستقيمة المعنى والمبنى معا ...

وفي الصفحة ١٢٢ وردت العبارة التالية :

عنترة : « ما كنت لاعرف اني اسيء معاملة ضعيف عاجز »

فعنترة حسب هذا النص يعترف بالاساءة ويعتذر عن اقترافها بجهله ان ما فعله اساءة بالنظر الى تاويل العبارة بما كنت لاعرف نفسي مسيئا على اعتبار ان الحرف المشبه بالفعل يدخل على المبتدأ والخبر للتوكيد ، في حين ان عنترة يقول : « ما كنت لاعرف ان اسيء » مع ان المصدرية وبالتاويل ما كنت لاعرف الاساءة فهو بالتالي ينكرها وينفي عنه تهمة الاساءة نفيا باتا وما استعمال لام الجحود مسبوقة بكان المنفية الا لتاكيد نفي الاساءة لا الجهل بها على حد تعبير الاية الكريمة « ما كان الله ليظلمهم » والا اي عذر لعنترة ان يجهل بان سمل عيني اسير اساءة ؟

Et je ne savais pas maltraiter un infirme

اننا لا نبالغ اذا قلنا ان الاستاذ الاشتر بتصحيحه ما هو صواب قد اساء الى المؤلف اذ شوه تشويها معيبا فكرته باغفاله في الصفحة ١٢٥ كلمة « المتحدة » . ان شكري غانم الذي انهى عام ١٨٩٨ تاليف هذه المسرحية التي قال فيها الاستاذ الكبير الدكتور ادمون رباط«انها ملحمة جميلة وانها من القطع الادبية الرائعة التي عملت على تقريب الاذهان في فرنسا الى بوادر القومية العربية الاولى وقد كانت وقتئذ بادية في احياء التراث العربي القديم » ، تمنى غانم ان تكون البلاد العربية متحدة . فلماذا سكت بل لماذا حذف الاستاذ الاشتر من الترجمة كلمة المتحدة ؟ أيغيظه ذكرها ام ذلك منه امانة في الترجمة ام من قبيل الصقل والتهذيب ام ماذا ؟

عنترة يخاطب وزرا : وعرفت ايضا نيات هذا الملك واهدافه .

وزر : اجل ان تكون البلاد العربية يحكمها سيد وحيد ، هذا صحيح ولكنه ما كان الا حلما بديعا .

عنترة : بالامس كان حلما واما اليوم فهو حقيقة .

فالمصحح باغفاله كلمة (المتحدة) قد شوه ايما تشويه فكرة المؤلف فالترجمة الصحيحة لقول المؤلف هي كما كانت قبل التصحيح : اجل ان تكون البلاد العربية متحدة .

Oui l'Arabie unie

ثم ان المؤلف لم يقل ان الحلم البديع قد اصبح حقيقة . فبين الحلم والحقيقة بون شاسع وعلى افتراض ان ليس بينهما فارق فان المؤلف لم يقل ذلك على كل حال وهو ادرى بما يقول فقد تمنى في الصفحة ٤٣ لو يصير الحلم املا . أفي عام ١٨٩٨ يكون الحلم البديع الذي يدعو اليه غانم اي اتحاد البلاد العربية حقيقة وهو لا يزال حلما من الاحلام الذهبية في عام ١٩٦٣ ؟ والعبارة كانت مترجمة هكذا :

عنترة : بالامس كان حلما واما اليوم فلا ...

Ce n'est plus maintenant un rêve .

ثم ليسمح لنا ان نذكر المقطع الطويل التالي هنا لجلاله واهميته في المسرحية وقد جرد الصاقل المهذب القسم الاخير منه من كل معنى (ص ١٢٤) . فبعد ان اقتنع وزر بان عنترة لم يأمر بسمل عينيه يقول:

وزر : اصدقك ... نعم ، واود الا اصدق ! اني ابحث في قلبي وفي ذاكرتي ... لقد كان لدي اسباب اخرى عظيمة وجديرة بان ابغضك من اجلها ! ... مهلا ... « لو لم يفقأ عنترة عينيك ، ولو لم يكن جلادا أفلا يظل في نظر كل عربي محب لحريته ذلك الخائن الذي يريد ان يبيع بلاده ويسلمها الى الاعاجم ؟ » . فهذا ما اعرفه عنك منذ اكثر من سنتين . ان جريمتك كانت تكبر وتتسع بلا حدود جاعلة كل تعد وكل عنف ضروريين يهون ازاءها الاعتداء علي . الحق ان ليس فقد العينين بل ليس فقد الحياة في نظر العربي عندما تكون القضية قضية انقاذ البلاد العربية ؟

من جهتي لا اجد في العبارة الاخيرة اي معنى لانها ناقصة ـ اين خبر ليس ؟ ـ والسر في اغلاق فهمها صقل وتهذيب الاستاذ الاشتر . وهذه ترجمتها الاصلية :

ان جريمتك كانت تكبر وتعرض لا حد لها ـ استعمال لا النافية للجنس مع المفرد اصح ـ جاعلة كل تعد وكل عنف ضروريين يهون ازاءها الاعتداء علي . فحقا ما فقد العينين بل ما فقد الحياة في نظر العربي ...

Que sont pour l'arabe, en effet,
Et la perte des yeux et celle de la vie
Quand il s'agit pour lui de sauver l'Arabie.

ان الاستاذ الاشتر على ما يظهر لم يفهم معنى (en effet) اي حقا وحقيقة وفي الحقيقة كما جاء في معجم بلو . فضلا عن اننا حافظنا في ترجمة العبارة حتى على الاستفهام الانكاري الوارد فيها في حين ان المراجع جعلها جملة خبرية لكنه حرص على تجريدها من كل خبر ... اي من كل معنى ؟ ...

وهنالك اخطاء اخرى وقع فيها حضرة المراجع يمكن عدم التوقف عندها لا سيما بعد ان أتينا على اهم الاخطاء التي من شان تصحيحها ان يخفف من ثورة غضب المؤلف الاصلي على الترجمة التي حرصنا كل الحرص ان تأتي اقرب ما امكن من روح وحرفية النص لاعطاء القراء الكرام فكرة دقيقة عنه .

الياس غالي

صدر حديثا :

الظمأ والينبوع

رواية من تاليف

فاضل السباعي

٢٥٠ ق. ل

دار الاداب